

الامامة والسياسة

[43] ويسلط عليكم عدوكم، وإني أخبركم أن قوما أظهروا للناس أنهم إنما يدعونني إلى كتاب الله تعالى والحق، فلما عرض عليهم الحق رغبوا عنه وتركوه، وطال عليهم عمري، واستعجلوا القدر بي، وقد كانوا كتبوا إليكم، أنهم قد رضوا بالذي أعطيتهم، ولا أعلم أني تركت من الذي عاهدتهم عليه شيئا، وكانوا زعموا أنهم يطلبون الحدود، وترك المطالم، وردّها إلى أهلها، فرضيت بذلك، وقالوا: يؤمر عمرو بن العاص، وعبد الله بن قيس، ومثلهما من ذوي القوة والامانة، وكل ذلك فعلت، فلم يرضوا، وحالوا بيني وبين المسجد، فابتزوا ما قدروا عليه بالمدينة وهم يخبروني بين إحدى ثلاث: إما أن يقيدوني بكل رجل أصبت خطأ أو عمدا، وإما أن أعزل عن الامر، فيؤمروا أحدا، وإما أن يرسلوا إلى من أطاعهم من الجنود وأهل الامصار، فأرسلوا إليكم فأتيتم لتبتزوني من الذي جعل الله لي عليكم من السمع والطاعة، فسمعت منهم، وأطعتموهم والطاعة لي عليكم دونهم، فقلت لهم: أما إقادة من نفسي فقد كان قبلي خلفاء، ومن يتول السلطان يخطئ ويصيب، فلم يستقد من أحد منهم، وقد علمت أنهم يريدون بذلك نفسي، وأما أن أتبرأ من الامر، فإن يصليوني أحب إلي من أن أتبرأ من جنة الله تعالى وخلافته بعد قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لي: يا عثمان، إن الله تعالى سيقمصك قميصا بعدي، فإن أراذك المنافقون على خلعه فلا تخلعه حتى تلقاني، ولم أكن استكرهتهم من قبل على السمع والطاعة، ولكن أتوها طائعين، يبتغون بذلك مرضاة الله، وصلاح الامة، ومن يكن منهم يبتغي الدنيا فلن ينال منها إلا ما كتب له، فاتقوا الله، فإنني لا أَرْضى لكم أن تنكثوا عهد الله، وإني أنشدكم الله والاسلام ألا تأخذوا الحق ولا تعطوه مني (وما أبرئ نفسي إن النفس لأمارة بالسوء، إلا ما رحم ربي) وإني عاقبت أقواما، وما أبتغى بذلك إلا الخير، وإني أتوب إلى الله من كل عمل عملته، وأستغفره، أما والله لقد علمتم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: لا يحل دم امرئ مسلم إلا في إحدى ثلاث: الردة عن الاسلام، والزنا بعد الاحصان، ولا والله ما كان ذلك مني في جاهلية ولا إسلام، أو رجل قتل رجلا فيقاد به. فقال بعضهم: إنه ليقول مقالا. وقال آخر: لئن سمعتم منه ليصرفنكم، فأبوا، ورموه بالسهام، واستقبلوه بما لا يستقبل به مثله، ثم أشرف عليهم عبد الله بن سلام، وكان من أهل الدار، فقال: يا معشر من حاصر دار عثمان من المهاجرين والانصار، ممن أنعم الله عليهم بالاسلام، لا تقتلوا عثمان فوالله إن حقه على كل مؤمن لحق الوالد على ولده، والله إن على حوائط المدينة اثني عشر ألف ملك منذ أن أمد الله بهم نبيكم صلى الله عليه وسلم، والله لئن قتلتموه ليسخن عليكم ربكم، ولتتفرقن ملائكته عنكم وليقتلن بقتله أقواما هم في الاصلاب وما خلقوا

في الا حارم وإني لاجده في التوراة التي أنزل اﷻ على موسى عليه السلام، وكتب بيده عزوجل
إليكم بالعبراني وبالعربي خليفتم المظلوم الشهيد والذي نفسي بيده لئن قتلتموه لا تؤدي
بعده طاعة إلا عن مخافة، ولا توصل رحم
